البشائر

البشائر – مجلة دورية تصدرها جماعة جند الله في فلسطين
العدد الأول – رجب١٤٣٤هـ ـ يونيو٢٠١٣م

رؤية إسلامية للأحداث الجارية
الإسلام والثورة

ثورة أمة

تأملات في مصطلح "السلفية الجهادية"

بشائر الكتاب والسنة في بلاد الشام المباركة وأهلها

اللغة العربية بين الأمس واليوم



رؤية إسلامية للأحداث الجارية - الإسلام والثورة

بقلم الشيخ حسن عمر – حفظه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، ووإن أطعتموهم أَضَلُّوكُمْ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: "كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ" رواه الطبراني . قال الهيثمي : " ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره، وبقية رجاله ثقات".

إن على كل مسلم ومسلمة أن يتأمل هذا الحديث العظيم الذي يعبر عن روح الإسلام الثورية، والذي يبين أن السلطة كثيرًا ما تكره شرع الله سبحانه، وكتاب الله سبحانه، واتباع دين الله سبحانه.. لماذا؟ لأن مصالح رجال السلطة ستصطدم وتتعارض مع دين الله ومع كتاب الله ومع أهل الحق، وليتهم يدعون أهل الحق في حالهم أو يفتحون لهم بابًا لإبداء الرأي وإنكار المنكر، ولكنهم يصارعون الناس ويشتدون بوطأتهم على أهل الحق، لأن هناك صراعًا بين منهجين (منهج دين الله سبحانه وتحت راية كتاب الله) و(منهج الشيطان وسلطان الباطل تحت رايات الجاهلية بأسمائها المختلفة قديمًا وحديثًا) ومادام هؤلاء الأمراء قد فارقوا الكتاب •القرءان– فإن طاعتهم ضلال، واتباع منهجهم طريق إلى جهنم (ووإن أطعتموهم أضلوكم) وفي المقابل فالتمسك بالحق مر (إن عصيتموهم قتلوكم) ومن هنا فإن المرء يحتاج إلى طائفة فدائية تقدم التضحيات، ولا تحرف دين الإسلام إرضاءً لأهل السلطان وتحصيلاً لمنافع دنيوية ومناصب ورئاسات زائلة.

وهذه الطائفة هي المتشبهة بالصحابة رضوان الله عليهم أول من حملوا هذا الدين حتى سلموه إلينا ناصعًا عاليًا خفاقًا، وهم أهل الغربة .. (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء) و(هم الذين يصلحون عند فساد الناس) و(هم الذين يصلحون إذا فسد الناس) وهم المتمسكون بدينهم رغم كل المخالفين (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) وهم القابضون على الجمر (يأتي على الناس زمانٌ القابض فيه على الدين كالقابض على الجمر، للعاملين فيه أجر خمسين) لأنهم لا يجدون على الحق أعوانًا ولأن التهديد والوعيد يأتيهم من كل مكان، ولكنهم في سبيل الله حملوا دين الله سبحانه وتعالى ومستعدون لدخول السجون سنين وسنين، ومستعدون لتحمل كل الأذى على اختلاف أشكاله وإن طال .. بل مستعدون للموت في سبيل الله (كونوا كأصحاب عيسى حُملوا على الخشب ونُشروا بالمناشير، فما صدهم ذلك عن دين الله).

هذا الحديث نموذج من نماذج ثورية الإسلام على أهل الباطل، ونموذج على شدة صراع الباطل مع الحق ورسالة إلى حملة الدين أنه لا دين دون تضحية وثبات، ولا علو للدين دون فداء فجهزوا أنفسكم لذلك وربوا الأجيال على هذا.

وبعد هذه الجولة السريعة مع هذا الحديث نذكر جملة من فوائده:

1– أمر النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة الإسلام على كل حال سواء في حال الشدة أو في حال الرخاء.

2– بيان النبي صلى الله عليه وسلم أن السلطان وكتاب الله سيفترقان، فولاة الأمورلن يحكموا بشرع الله سبحانه وتعالى كما هو حالنا الآن.

3– بيان النبي صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الحكام الذين يحكمون بغير كتاب الله ضُلّال مضلون، من أطاعهم ضل عن الحق واتبع الشيطان ولا يغني عن هؤلاء الحكام دفاع علماء السوء عنهم، والتماس العذار لهم فهم أئمة ضُلّال .. (وإن أطعتموهم أضلوكم).

4– في الحديث بيان أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى.

5– في الحديث بيان أن هؤلاء الحكام الحائدين عن سبيل

الله أهل إفساد وإهلاك، يفسدون على الناس أمر دينهم ودنياهم ولا يتورعون عن سفك الدماء بغير حق، فانطبق عليهم الحديث (وإن أطعتموهم أضلوكم إن عصيتموهم قتلوكم) وانطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾إبراهيم28

6- في الحديث الأمر بالصبر على دين الله مهما وقع على العبد من بلاء (كونوا كأصحاب عيسى حُملوا على الخشب ونُشروا بالمناشير فما صدهم ذلك عن دين الله).

7- في الحديث بيان ارتباط البلاء بالإيمان والإعلان به كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ العنكبوت2-3، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء" وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".

8- الحديث فيه دلالة على ثورية الإسلام على الحكام المخالفين لكتاب الله الظالمين لعباده، مهما كان علوهم في الأرض.

9- مادام هؤلاء الحكام المخالفين لكتاب الله على ضلال ومن أطاعهم أضلوه فإن العلماء اللذين يدعون الناس إلى طاعتهم وعدم الخروج عليهم بل يزينون للناس حال هؤلاء الحكام ويسمونهم بولاة أمور المسلمين، ويصفون من يخرج عليهم بأنهم خوارج، فهؤلاء العلماء ضُلّال، بل أئمة ضلال، جمعوا بين كتم الحق وبين اللبس والتلبيس بين الحق والباطل، وهؤلاء يقدمون للناس دينًا كهنوتيًا لا يحتوي على جهاد أو أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، فهم مغضوب عليهم لأن من ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود المغضوب عليهم لأنهم ضلوا على علم وهؤلاء ملعونون حتى يتوبوا، ومن شروط توبتهم تبيين ما كتموا من حق للناس كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة 159-160 فاشترط الله سبحانه في توبتهم التبيين للناس لما كتموه من حق كما قال في هذه الآية: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ ولنا معهم وقفة خاصة بعد ذلك بإذن الله تعالى.

وصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص قبل توجهه لحرب الفرس

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصية له إلى سعد بن أبي وقاص، ومن معه من الأجناد رضي الله عنهم :(أما بعد: فإني آمُرُكَ ومن معك بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضلُ العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمُرُكَ ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي، من احتراسكم من عدوكم، فإن ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وإنما يُنْصَرُ المسلمون على عدوهم بمعصية عدوهم لله، ولولا ذاك لم يكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا والقوة، وإن لم نُنْصَرْ عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سَيْرِكُم حفظة من الله تعالى ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدوًّا شرٌّ منا، فلن يُسلطوا علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قوم سُلط عليهم شرٌّ منهم، كما سُلط على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله، كفرةُ المجوس:(فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا)، فسألوا اللهَ العونَ على أنفسكم، كما تسألونه على عدوكم أسأل الله ذلك لنا ولكم) .

بدائع السلك في طبائع الملك (ج ١ / ١٦٠) .





ثورة أمّة

للشيخ الدكتور محمد علي الجزولي

كاتب ومفكر إسلامي سوداني وخبير في التنمية البشرية

الأمة ما زالت منذ سقوط دولة الخلافة تتنكب الطريق بعد أن أفلح عدوها فى اسقاط دولة الأمة وإقامة دولة الشعب فتم وضع الأمة فى اقفاص الدول القطرية تفصل بينها حدود وهمية مصطنعة وحلت الجنسية محل العقيدة فأصبحت التونساوية و السودانوية والمصراوية هى عقيدة جيوشها العسكرية وخطابها السياسى وولائها الوطنى وشكل وجدانها باعتبارها مصرية او تونسية او ليبية او سعودية او سودانية فلم تعد تصدر فى فعلها السياسى ولا حربها وسلمها باعتبارها مسلمة ولم تعد تجد صراخات الحرائر فى افغانستان والعراق وفلسطين واستغاثاتهم آذان معتصم إذ ذاك شأن داخلى!.

ولم يخرج المستعمر من بلادنا الا بعد أن ضمن أن حربه الثقافية قد أفلحت فى صناعة نخبة تفكر بعقله وتتنفس برئته وتمتزج مشاعرها بمشاعره تصطف خلف شعارات شرمة من الاخوة والمساواة والحرية وما علمت ان عدوها أول ما صنعه وهو يرفع شعار الحرية هو تحريرها من قيود دينها فغدى الدين علاقة خاصة بين العبد وربه ورفع شعار الدين لله والوطن للجميع، ان هذا التذويب والتخريب والتدمير الذى لحق بالعقل المسلم أعاد امتنا الى جاهلية لا تقل فى ضلالها وانحرافها عن جاهليتها الاولى إذ لم تعد تصدر عن منهج محمد عليه الصلاة والسلام فى سياسة وحكم ولا اقتصاد وتعليم ولا ثقافة ونظم .

وتعاقبت على الامة بعد الاستعمار أنظمة تائهة عميلة تولى وجهها شطر المعسكر الشرقى وشطر المعسكر الغربى تولى وجهها تارة أخرى . والامة ظلت تتلوى فى براثين شقوة الفكر وشقوة الاخلاق وشقوة القيم وشقوة النظم وشقوة المعاش ففقدت دينها ولم تجد من دنياها الا الفتات .

إستأسد على سدة الحكم فى بلادها طغمة نهبت ثروات الامة وسرقوا قبل ذلك عزتها وكرامتها وهى تتلوى من الجوع والمرض والجهل لا لفقرها ولكن لإفتقارها للقيادة الراشدة .

والتقارير تكشف أن ثروة أحد طواغيت العرب تكفى لإطعام ثلاثمائة مليون نسمة لمدة اربع سنوات .!

إنها ليست امة فقيرة لكنها منهوبة، لقد أصبحت الامة الرائدة التى سادت بقيمها ومفاهيمها

العالم وكانت مصدر اشعاع وتنوير وهدى هى اليوم فى مؤخرة الامم، محتلة دورها منتهكة اعراضها ومدنس دينها محتقرة شعائرها، لا يسمح لفتياتها فى بعض البلدان بوضع قطعة فوق الرأس بل لم تكن تدخل المسجد فى بعض البلاد الا ببطاقة ممغنطة !!

والشعوب التى رزحت تحت وطأة التهميش وطمس الهوية والافقار المنظم والكبت والتجويع وهى تثور تقتلع حكامها وتحاصر جلاديها تثأر لعزتها التى أحالها حكامها الى ذل وخضوع وكرامتها التى أهينت ودمائها التى اسيلت على ضفاف الرافدين وسفوح جبال افغانستان وشوارع غزة الابية ، انها قامت تحاسب من أقل احواله التواطؤ إن لم تكن المشاركة الكاملة فى الجرائم التى ارتكبت بحق الامة إذ لم تكن جامعتهم اليعربية العبرية تملك غير الشجب والتنديد بينما يسمح بعض اعضائها باقامة القواعد العسكرية ويعد البعض الاخر الملفات الامنية مشاركة فيما اسموه الحرب على الارهاب .

والامة هذه المرة فى ثوراتها المباركة تدفع ثمناً غالياً دماء ودموع وجماجم وأشلاء ترفع شعاراً مختلفاً شعار الأوبة والعودة الى الاسلام ، لقد كسرت الامة جدار الخوف يوم علمت ان ضريبة العزة والكرامة هى ارخص بكثير من ضريبة الذل والكبت والاستلاب والتجويع .

إن أعظم ما أنجزته الشعوب فى ثوراتها هذه أنها أفقدت طواغيت العرب أقوى مايملكون من أسلحة الترهيب جيوشهم العسكرية وشرطتهم المرتزقة وأجهزة أمنهم الارهابية فكم فقدت الامة من دماء أبنائها وزعمائها ومناصرى قضاياها لا فى ساحات المسيرات والثورات ولكن برصاص الغدر والدم البارد إغتيالاً وتغييباً يدون ضد مجهول فقط لم تكن تصوره عدسات القنوات الفضائية ان من قتلتهم الأنظمة الجبرية سرا بالتسميم او الرصاص او حوادث السير اكثر عشرات المرات من من قتلتهم فى ميادين الحرية والمسيرات ، فكم فقدت الامة من دعاتها وعلمائها وشبابها المجاهد الذى غيبتهم سجون الطواغيت وكم فقدت الامة من كرامتها ورجولتها وهى تسمع استغاثات المستضعفين لا تستطيع لهم نصراً .

كبلتها سياسات الترهيب وشلت قدراتها مطاردات التقارير الامنية والخوف من التصنيف الذى يعنى فقدان الوظيفة وضياع الابناء وتفكك الاسرة أو يعنى الضرائب التى ترهق كاهل استثماره فيعلن الافلاس او يعنى تزوير نتائج الامتحان بما يؤدى الى السقوط والطرد من الجامعة ان كان الثائر طالبا هكذا عاشت امتنا تحت سياسات الترهيب والتخويف والتضيق لكنها اليوم ترفع شعار (لا ترهبنكم مخافة الناس ان تقولوا بحق او تشهدوه فانه لا يقرب من اجل ولا يباعد من رزق).

لقد طال ليل أمتنا وهشم عظام كرامتها ذل القهر والتخويف والتجويع . وتقارير مراكز الغرب ومشاهده متفحصة للواقع تبشر بفجر يقطع ظلمة الليل وظلمة الظلم وظلمة التيه وظلمة الضياع . إن أمتنا سئمت استنشاق هواء لوثته أغبرة الغرب وفكره النتن ودخاخين الجاهلية المنحرفة إنها ترغب فى استنشاق هواء نقى يعبر عن هويتها ويستمد نظمها من قيمها . لقد كان طواغيت العرب يضعون الف حساب للخارج ويحتقرون الداخل يقولون بلا حياء ان اوراق الحل كلها فى يد واشنطن ويسخرون من اى معارضة داخلية وقدرتها على اقتلاعهم لكن دروس الشهر المنصرم تقول ان اوراق التغيير والحل كلها بيد الداخل بعد توفيق الله عز وجل هذا الكابوس الذى استيقظت عليه عواصم العرب والغرب معا يعملون على احتوائه وتفريغ مطالب الامة بالعودة الى الاسلام باسلام معتل.

أيتها الأمة ان الدماء الزكية والجراح الغائرة والاشلاء التى تطايرت والجامجم التى سقطت اجعلوا منها لبنات لبناء دولة الاسلام التى تعيد للأمة كرامتها وتحقق الطمأنينة لاهل الارض وترضى اهل السماء واحذروا فقهاء مؤسسة راند الذين احترفوا الدجل فزعموا ان الديمقراطية هى الشورى وان اقرار الملكية الفردية هو اقتصاديات السوق الحر وان وحدة الاديان هى ملة ابراهيم وان الجزية حكم تاريخى انقرض.

تأملات في مصطلح « السلفية الجهادية »

بقلم/ أبي دجانة الباشا - شبكة الفداء الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فمنذ ما يقرب من عقد من الزمان ظهر على الساحة الإسلامية مصطلح "السلفية الجهادية" ويقصد به -في الجملة هذه الفئة المؤمنة المجاهدة التي تقاتل في كثير من بقاع الأرض؛ لنصرة الدين ورد المعتدين وتحكيم شريعة رب العالمين، ويسعى أصحابها أن تكون طريقتهم في جهادهم طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وقد لا ينازع أحد في صحة المعنى الذي يحمله هذا الاسم "السلفية الجهادية" ما دام جارياً وفق المفهوم آنف الذكر، ولا أظن أن أحداً ينازع أيضاً في أن تسمية طائفة معينة من الأمة به ليست واجبة. هذا ومع بحثي الشديد عن مصدر هذا المصطلح، وعمن أطلقه على هذه الفئة المجاهدة أول مرة، إلا أنني لم أعثر على شيء يشفي الغليل، وإن كنت أظن أن هذه المعرفة ليست لها كثير فائدة؛ فسواء أطلقه على هذه الفئة بعض المنتسبين إليها عن حسن قصد منهم، أو أطلقه عليها أعداؤها عن سوء قصد للنيل منها، فإنه ينبغي لنا أن ننظر إلى ما آل إليه الحال مع هذه التسمية، من استفادة الأعداء منها في محاولاتهم المستمرة لتشويه هذه الفئة وتنفير الناس منها وعزلها عن أمتها، وربما ساعد على ذلك بعض الأخطاء التي وقعت من بعض من ينسب إلى هذه الطائفة المجاهدة، فهي ليست طائفة معصومة من الخطأ، شأنها في ذلك شأن أي طائفة، وإن كانت الأخطاء فيها قليلة مقارنة بغيرها من الطوائف والتيارات، ولا ترجع أخطاؤها إلى أصل منهجها وإنما إلى تطبيقات ميدانية عملية من بعض أفرادها، كما هو حال أي جهد بشري، وقد يكون البعض قد اندس بين صفوف هذه الطائفة؛ ليكيد بها، ويحرف مسيرتها، ويشوه منهجها، ويفرق كلمتها. كما أن كثيراً مما يشنع به على هذه الفئة هو من المعروف الذي أصبح في هذا الزمان منكراً، كمن ينكر عليها مشروعية جهاد الحكام المنابذين لشرع الله، المحاربين له، والخروج عليهم؛ لإقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة، بل وينكرون عليها القيام بما أجمعت الأمة على وجوبه، واتفق عقلاء البشر على ضرورته من جهاد العدو الصائل، الذي يفسد دين الناس ودنياهم، كما هو حادث في أفغانستان والعراق والصومال، وغيرها من بلاد المسلمين.

وإن كنت أقر بداية أن المسألة التي أتحدث عنها أعمق من أن يتناولها بالبحث مثل هذا المقال المختصر، ولكنها بداية أدعو بها إخواني المجاهدين إلى النظر فيها بإنصاف وتجرد يساعدان على تحقيق أهداف هذه الفئة المجاهدة، بجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والله سبحانه فاعل ذلك لا محالة وناصر دينه وأولياءه، قال تعالى: [وكان حقاً علينا نصر المؤمنين] وقال: [إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد] وقد قضى الله بألا يخلو زمان من قائل بالحق قائم به، وهؤلاء هم الطائفة المنصورة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنها لا تزال ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها، ولا من خالفها.

فعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضُرهم من خذلهم، حتى يأْتي أمر الله وهم كذلك".

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أهل الإسلام يقاتلون على الإسلام، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتلون الدجال".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: فعُلم بخبره الصدق أن لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكين بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً.

وهؤلاء هم صفوة أهل الإسلام وطليعة الفرقة الناجية، وهم خير الناس للناس كما قال تعالى: [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: [كنتم خير أمة أخرجت للناس]. قال: "خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام".

والمتأمل في أحاديث الطائفة المنصورة، وما ذكر فيها من صفات، ومن أبرزها الجهاد لإعلاء كلمة الله، يجد أن من أحق الناس دخولاً فيها هي هذه الفئة المؤمنة التي تقاتل في مشارق الأرض ومغاربها، متمسكة بهدي نبيها، هذه الفئة الصابرة المصابرة المرابطة التي أبت الانحناء للباطل أو التنازل عن الحق الذي تحمله، مع ما تتعرض له من

محن وابتلاءات، في زمن تموج فيه الفتن كموج البحر، فهي -كما قال شيخ الإسلام في أمثالها-: أقوم الطوائف بدين الإسلام علماً وعملاً, وجهاداً عن شرق الأرض وغربها, فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب.
ولكن ما يجب التأكيد عليه أن الطائفة المنصورة ليست محصورة في الفئة التي اصطلح على تسميتها "بالسلفية الجهادية" أي أنها من الطائفة وليست كلها؛ فهناك الكثير ممن نصر دين الله، وقام لإعلاء كلمته، وهو لا ينتسب إلى هذا الاسم، سواء كانوا جماعات أو أفراداً، علمناهم أو لم نعلمهم.
وهناك الكثير من أتباع هذه الطائفة ومناصريها لم ينتموا إلى التيار السلفي بمعناه المعاصر.
والناظر في التاريخ يجد الكثير ممن نصروا الدين، واستحقوا وصفهم بأنهم من الطائفة المنصورة، لم يكونوا على هذا النهج السلفي بمعناه المعاصر. بل ربما كان فيهم من يخالف اعتقاد السلف الصالح في بعض المسائل، ولكن لحسن بلائهم في نصرة الدين ودفعهم عن حياضه، وكسرهم لشوكة أعدائه، عُدُّوا من الطائفة المنصورة بهذا الاعتبار, وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذا مشهور عن الطائفة التي تقاتل في مصر وأكناف بيت المقدس.
وربما نستطيع القول أيضاً أن جماعة قاعدة الجهاد -وهي الجماعة الرئيسية التي تنسب إلى هذه الطائفة- لا تستعمل هذا المصطلح في أدبياتها.
ولا يعني هذا أن هذه الطوائف التي تنتسب في مجملها إلى الطائفة المنصورة معصومة من الزلل. بل لكل منها نصيبه من هذا الاسم الشريف بحسب ما تتحلى به من صفات هذه الطائفة، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر.
وأعود إلى مصطلح "السلفية الجهادية" وكما هو واضح فإنني أدعو إخواني المجاهدين في مشرق الأرض ومغربها إلى هجر هذا المصطلح وإبداله بما ورد في القرآن والسنة وأُثِر عن السلف رضوان الله عليهم، كمصطلح "الطائفة المنصورة" في إشارة إلى كل قائل بالحق قائم به في هذا الزمان. وكذا مصطلح: "المجاهدون" -إذا أشرنا إلى أهله- فهو وإن كان جزء ما تحفظنا عليه إلا أنه مصطلح شرعي، ولم يصبه ما أصاب غيره من تشويه، وله مكانة في قلوب العامة والخاصة، لذا لما أرادوا محاربته سموه عنفاً، وهذا بخلاف ما نحن بصدده.
لأنه -ومع تأكيدي على شرف معناه وصحته- مصطلح حادث لم يرد في كتاب ولا سنة ولا استعمله سلف الأمة، وفيما ورد في شرعنا غنية عنه، كما سبق في وصف النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الحق بالطائفة المنصورة.
ولأن "الطائفة المنصورة" مصطلح أجمع وأشمل من مصطلح "السلفية الجهادية"؛ لأنه يدخل فيه الكثير ممن قالوا الحق وقاموا به ولم ينتسبوا إلى هذه المدرسة كما أسلفنا، ونحن مطالبون بأن نجتمع ما استطعنا لا أن نفترق.

بل إن الناظر المستبصر لمسار الأحداث في هذا الزمان يجد أن أعداء الدين وأهل الباطل قد أعجبهم هذا المصطلح -إن لم يكونوا هم واضعيه- وأفسحوا المجال لنشره، واستفادوا منه أيما استفادة في تشويه حملته، وتصويرهم بأنهم ثلة منحرفة عن دينها، منبوذة من أمتها، وأصبح هذا الاسم مرتبطاً في أذهان الكثير من العامة -بل وربما بعض الخاصة- بسفك الدماء المحرمة، والإفراط في الدين والمعتقد.. إلى آخر سلسلة الاتهامات الباطلة المشهورة. وهو ما أوجد فجوة بينها وبين شريحة لا يستهان بها من الأمة، وأذكر أنني كنت قد كتبت مقالاً بعد سقوط الإمارة الإسلامية في أفغانستان بعنوان: "لماذا سقطت دولة الإسلام في أفغانستان" حذرت فيه من محاولة أعدائنا لعزلنا عن أمتنا لتسهل بالتالي هزيمتنا، وذكرت فيه أهمية قتالنا كأمة، وليس كتنظيم أو فئة معينة، فأمم الكفر التي تداعت علينا لن يهزمها سوى أمة الإسلام بطليعتها الطائفة المنصورة.

ومع أننا ندين الله بأن هذه الفئة هي من أقرب الناس للحق في هذا الزمان، وأن في الأمة من أهل الحق غيرها -وذلك بحسب تمسكهم والتزامهم بمنهج الحق- وندين الله أيضاً بأن البعض ممن ينتسبون إلى العمل الإسلامي لديهم من الانحراف والضلال ما يجعلهم من أبعد الناس عن الحق وأهله، إلا أن هذا الاسم "السلفية الجهادية" أصبح في أذهان الكثيرين قسيماً للمسميات الأخرى المنحرفة عن الجادة التي تنتشر في هذا الزمان، وهذه قسمة ضيزى؛ فليس من أخذ الدين كله وبقوة، كمن أضاع أكثر الدين وداهن ووالى أعداءه. بمعنى أن هذه الفئة أصبحت في أحسن أحوالها في أذهان الكثير من المسلمين تياراً إسلامياً كغيرها من التيارات، مع ما علق في أذهانهم عنها من تشويه.
هذا بالإضافة إلى أن انتشار هذا المصطلح قد أضاف سبباً جديداً للفرقة بين الأمة -المثقلة أصلاً بذلك- بل وبين بعض القائمين بالحق فيها؛ بسبب تعصب بعض من ينتسب إلى الاسم وإن فرط في بعض ما يحمله من معاني، ولا يختلف المسلمون في أن اجتماع كلمتهم أصل من أصولهم،

وعماد قوتهم، وسر انتصارهم، والنظر في ذلك أولى من النظر في أسماء قد ثبت حصول الضرر منها، حتى أصبحنا نخشى على بعض من ينتمي إلى هذه الطائفة من التحزب الذي نهينا عنه، وكنا نمقته من غيرنا، وقد سمانا الله تعالى في كتابه "مسلمين" ولم يسمنا "سلفيين" فيجب على المجاهدين أن يقتربوا من أمتهم ويزيلوا مختلف العوائق التي وضعها الطغاة وأعداء الدين أمام ذلك، ولا يعني ذلك التنازل عن الحقِّ أو التنكر له، ولا مجاراة الناس في أهوائهم، ولا إرضاؤهم بسخط الله، وإنما المقصود أن الأسماء التي لم يعلَّق على عينها حكم شرعي، ولم يرد بلفظها دليل خاصٌّ يوجب المراعاة لأجله، ولوحِظَ أنه يقود إلى مفاسدَ واضحة تخالف مقصود الشارع وتصادمه، ينبغي تركها والتخلي عنها بلا تردد، وهذا مع تأكيدنا على أن الانتساب للسلف هو شرفٌ عظيم إذا كان جارياً على معناه الصحيح من الالتزام بما كانوا عليه رضي الله عنهم.

وقد منَّ الله على هذه الأمة بهذه الثورات المتتابعات في بلاد المسلمين، والتي أثبتت فضل هذه الفئة على أمتها، وأن منهجها في التغيير هو ما يقره الشرع ويوافقه العقل، فقد أثبتت هذه الثورات أن هذه الأنظمة الظالمة لم ولن تذهب إلا بالقوة والتضحية، فلم نر طاغية ذهب بالديمقراطية والانتخابات، ولم نر شريعة وخلافة عادت بذلك، وقد كانت هذه الفئة المؤمنة المجاهدة هي أول من ثار على هذه الأنظمة الفاسدة منذ عقود، ثارت بكل ما تستطيعه من وسائل كان أهمها وأعظمها الجهاد الذي شرعه الله وجعله ذروة سنام الإسلام، وتحملت من أجل دينها وأمتها ما لم يتحمله غيرها من هجرة وتشريد وسجن وتعذيب وقتل وتشويه، وغير ذلك كثير مما تنوء الجبال بحمله، عاش أصحابها -النزاع من القبائل، القابضون على دينهم كالقابض على الجمر- غرباء، وقضى كثير منهم -كما نحسبهم- شهداء، صبروا على لأواء الطريق وقلة الناصر والصديق، فما وهنوا وما داهنوا وما ضعفوا وما استكانوا، هذا مع ما كانت تعانيه هذه الفئة من غفلة السواد الأعظم من المسلمين عن إدراك حقيقة هذه الأنظمة وحقيقة الصراع معها. فلا ينكر فضل هذه الطائفة المجاهدة إلا جاهل بها أو ظالم لها.

ومع أن هذه الثورات بها كثير من الدخن الناتج عن طول إبعاد الناس عن الدين، إلا أنها -بإذن الله- خطوة على طريق التمكين لدين الله، هذا التمكين الذي لم ولن يأتي إلا بالعودة إلى الدين الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وإلا بالرجوع إلى الله والتمسك بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لن يمكن هذا الدين إلا بما شرعه ربه وارتضاه، فلن تأتي الديمقراطية بالدين، ولن يأتي الكفر بالإيمان، ولا المعصية بالطاعة، وهذا وعد الله في كتابه: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]، فوعد الله لمن آمن وعمل صالحاً، وليست الديمقراطية بعمل صالح، وإنما هي انحراف عن الدين ومنابذة لشريعة رب العالمين.

وعلى المخلصين من هذه الأمة أن يوحدوا جهودهم للتمكين لهذا الدين ولتحكيم شريعته، وهذا من أوجب الواجبات في هذا الزمان، وهو غاية كل مسلم، ولابد من نشر المفاهيم الصحيحة لهذا الدين، ومحاربة ما يناقضها من مفاهيم ضالة مستوردة من شرق أو غرب.

ويجب علينا أن نوالي كل مسلم بقدر ما عنده من التمسك بالحق والموافقة للكتاب والسنة، بل وأن نتعاون مع كل المسلمين على ما يحب ربنا ويرضى، والقاعدة في ذلك قول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان). هذا مع قيام واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فيما بيننا كلٌّ بحسب حاله وقربه أو بعده من الحقِّ.

ونحن مطالبون أيضاً بأن نخاطب العامة بما يفهمونه حتى لا نكون عليهم فتنة، وأن نتحلى بالحكمة والرحمة في تبليغهم الحق وإيضاحه لهم، كما قال شيخ الإسلام عن أهل السنة والجماعة: "يتبعون الحق ويرحمون الخلق". خلافاً لأهل البدع.

ويجب أيضاً أن نعمق من خطابنا ونترك السطحية، ونقيس المصالح والمفاسد بميزان الشريعة، ولا نغفل عن السنن الكونية في الصراع، وهذا في الحقيقة ما تقوم به قيادات هذه الفئة المجاهدة وأهل العلم فيها، بل وغيرهم، ويبقى أن يتحلى الجميع بذلك؛ ليتحقق ما نرجوه جميعاً من قيادة هذه الأمة إلى النصر الموعود، والتمكين المنشود، وهو ما وعدنا الله به، بل إنه يلوح في الأفق في أكثر من بقعة من الأرض، ولله الحمد والمنة.

هذا وأسأل الله أن يجمع شمل هذه الأمة على كلمة سواء، وأن يردها رداً جميلاً إلى دينها، وأن يهديها لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

اللغة العربية بين الأمس واليوم

من المعلوم أن اللغة العربية قوية في ذاتها قوة معنوية، وكانت في زمن الخلافة إضافة إلى قوتها المعنوية قوية قوة مادية.. فهذا الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله يرى أن **العربية استمدت قوتها من قوة الدولة الإسلامية**، إذ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في أماكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم. فإنما يُقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها. وأما من تَلِفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واستقلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون فيهم موت الخاطر. [الإحكام في أصول الأحكام 32/1]

فلما كان الحكم الإسلامي رائداً، والقضاء بما أنزل الله سائداً، انتشرت لغتنا في ربوع العالمين، وصدرناها إلى غيرنا من الأعجمين، حتى أصبح أهل أوروبا يتفاخرون بتعلم لغتنا، ويتباهون بالتكلم بها.. حتى ضاق الأمر على أربابهم، مما دعاهم إلى مناصحة شعوبهم؛ قال "ألفارو" (Alvaro) في القرن التاسع الميلادي: " إن إخواني المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها، **بل لتعلم أسلوب عربي بليغ**. وأسفاه إنني لا أجد اليوم علمانياً يُقبل على قراءة الكتب الدينية أو حتى الإنجيل؛ بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة إلا اللغة العربية، ذلك أنهم يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف، ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها... **لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم، ولن تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينية**..". [حضارة الإسلام لجرو ينباوم ص81-82، وأثر الحضارة العربية في أوروبا لزيغريد هونكه ص529]

ولقد دخل إلى اللغات الأوروبية أكثر من ألف كلمة عربية، كـ: الفندق = fondaco ، ديوان = douane ، دفتر = defetari ، رحبه = rahba ، حجام = cangemi ، كابل (سلك) = kabel ، صك = scheek ، تعرفة = tariffa ، الملح القلوي (بوتاس) = calslum ، فلوكه (قارب) = feluke ، قيثارة = gittare ، راحة اليد (مضرب الكرة) = rakete ، بازار = bazzariotu ، سكر = sucre ، حرارة = carara ، ترصيع = tarsia ، منزل ، الأمير = misilmeri ، المقنطرات = almuquantarat ، الكحول = al khohol ، عسكري = askari ، السيد = cid ، مسكين = mesquino ، طاسة = tasse ، خزانة = gasena ، خسارة = cassara ، علقمة = alcamo ، تربيع = trabia ، فوارة = favara ، السكة = zecca ، الرطل = rotola ، المعصرة ، القصر = mazzara ، البطيخ = cassaro ، = pastecca ، الخليج = galiggi ، المحتسب = almotacen ... إلخ

وأما اليوم فقد تسلط على الأمة أراذلها، وساسها أعدائها، فلا تُستغرب عجمتها، ولا كثرة اللحن من أبنائها! حتى بلغ الحال فيها؛ أن حدثني بعض مشايخي أن شيخه العلامة نقيب أحمد جلس مستمعاً لخطبة أحد المشايخ العرب، فلما انتهى من خطبته، التفت الشيخ نقيب وقال لشيخي: هل هذا الخطيب أعجمي؟ قال شيخي: فظنناه قد اصطاد عليه لحناً في اللغة، وقلنا له: بل هو عربي. فقال الشيخ نقيب: **عجيب! عربي ولم يلحن!!** فكأن الأصل في العربي –هذه الأيام– هو اللحن وليس الإعراب!

دخل الشعبي على الحجاج فقال له: كم عطاءَك؟ قال: ألفين. قال: ويحكَ! كم عطاؤكَ؟ قال: ألفان. فقال: فلمَ لحنتَ فيما لا يلحنُ فيه مثلُكَ؟ قال: لحنَ الأميرُ فلحنتُ، وأعرب الأميرُ فأعربتُ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعربَ أنا عليه، فأكونَ كالمقرع له بلحنه، والمستطيل عليه بفضل القول قبله. فأعجبه ذلك منه، ووهبه مالاً. [العقد الفريد لابن عبد ربه 125/2]

وما هذا الواقع الذي نعيشه إلا مخطط مدروس من الأعداء، وقد بذلوا لتحقيقه الجهد والعناء.. قال نابليون لبعثته الوافدة إلى مصر: **علموا الفرنسية، ففي ذلك خدمةٌ حقيقيةٌ للوطن**.اهـ [اللغة العربية في التعليم العالي لالمبارك ص11]

وقد كانت أولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر: **علّموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة**.اهـ[اللغة العربية في التعليم العالي لالمبارك ص11]

وقال اللورد ميكالي عن الهند: يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين ملايين من رعيتنا **وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم انجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير**. [نحو التربية الإسلامية الحرة، للندوى: ص 32]

قال الأديب الألمعي الرافعي: ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، **ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة التي يستعمرها، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها**. اهـ [وحي القلم 33/2]

فهذه جهود الأعداء اليوم قد آتت أكلها ضعفين، حتى كدنا أن نقول مثلما قاله "ألفارو" (Alvaro) : ... "**لقد نسي المسلمون حتى لغتهم، ولن تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع كتابة خطاب باللغة العربية**..".انظر [العلاقات بين الشرق والغرب للدكتور سعيد عمران ص255].

من كتاب: العتاب لمن تكلم بغير لغة الكتاب

لتركي بن مبارك البنعلي

بشائر الكتاب والسنة في بلاد الشام المباركة وأهلها

للشيخ عمر عبد الحكيم - أبو مصعب السوري - كتاب الثورة الإسلامية في سوريا

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مناقب الشام وأهله ما نقتطف منه ما يلي: (ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب و السنة وآثار العلماء ، وهي أحد ما اعتمدته في تحضيضي للمسلمين على غزو التتار ، وأمري لهم بلزوم دمشق ونهيي لهم عن الفرار إلى مصر ، و استدعائي للعسكر المصري إلى الشام و تثبيت العسكر الشامي فيه..

بركة الشام :

هذه المناقب هي أمور أحدها البركة فيه ، وقد ثبت ذلك بخمس آيات من كتاب الله تعالى:

1- قوله تعالى في قصة موسى:(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا „) الأعراف 137. ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام و مغاربها بعد أن غرق فرعون في اليم.

2- قوله في قصة الإسراء:(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء 1 و هو وصوله صلى الله عليه وسلم أرض الشام .

3- قوله في قصة إبراهيم : (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين * ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء.70-71 و معلوم أن إبراهيم نجاه الله ولوطا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق.

4- وقوله تعالى : (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين) الأنبياء81 و إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

5- قوله تعالى في قصة سبأ (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين)سبأ 18 وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ و بين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكر العلماء.

فهذه خمسة نصوص حيث ذكر الله تعالى أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، ووصفها بأنها الأرض التي باركنا فيها ، وأيضا فيها الطور الذي كلم الله عليه موسى والذي أقسم الله به في سورة التين (والتين والزيتون وطور سينين) ، وفيها المسجد الأقصى ومنها مبعث أنبياء بني إسرائيل ، وإليها هجرة إبراهيم ، وإليها مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومنها معراجه ، وبها ملكه وعمود دينه وكتابه والطائفة المنصورة من أمته وإليها المحشر والمعاد ، ومن ذلك أن الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي ثبت الحديث فيها في الصحاح من حديث معاوية وغيره (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة) انظر الجامع الصغير.

وفيهما عن معاذ بن جبل قال : وهم بالشام ،وفي تاريخ البخاري مرفوعا قال : (وهم بدمشق وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ’لا يزال أهل الغرب ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة“ وقال أحمد بن حنبل : أهل المغرب هم أهل الشام وهم كما قال لوجهين ، أحدهما أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام ، وثانيهما أن لغة النبي صلى الله عليه و سلم وأهل مدينته في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق، و كان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل الغرب ، ويسمون الثوري شرقيا من أهل الشرق ، ومن ذلك أنها خيرة الله في الأرض و أن أهلها خيرة الله وخيرة أهل الأرض ، واستدل أبو داوود في سننه على ذلك بأحاديث كثيرة مثل:

(حديث عبد الله بن حوالة الأزدي عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ستجندون أجنادا جندا بالشام و جندا باليمن وجندا بالعراق ، فقال الحوالي : يا رسول الله اختر لي ؟ قال عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها حزبه من عباده ، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله تكفل لي بالشام و أهله) أخرجه أحمد و الطحاوي في مشكل الآثار وكان الحوالي راوي الحديث يقول: من تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

ومن ذلك أن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها على الشام كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر.

ومن ذلك أن عمود الكتاب والإسلام بالشام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ((رأيت كأن عمود الكتاب أخذ من تحت رأسي فأتبعته بصري فذهب به إلى الشام)) (صحيح أخرجه أبو نعيم في الحلية و صححه الحاكم) .

ومن ذلك أنها عقر دار المؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم : (عقر دار المؤمنين في الشام) أخرجه أحمد و ابن سعد في الطبقات والنبوي في مختصر المعجم وغيره انتهى كلا م شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . (**مناقب الشام وأهله تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ط /المكتب الإسلامي**)

كما ذكر في الشام و أهله و فضله طائفة من الأحاديث ننقل بعضها منها :

1) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي نظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ، ألا إن الإيمان في الشام إذا وقعت الفتن. حديث صحيح أخرجه الحاكم و أبو نعيم في الحلية.

2) أخرج الطيالسي في مسنده عن شعبة عن معاوية مرفوعا: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة) كذلك أخرجه الترمذي من طريقه و قال حسن صحيح.

3) عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس. قلنا فبماذا تأمرنا يا رسول الله ؟ قال عليكم بالشام) حديث صحيح أخرجه أحمد و الترمذي في الفتن و صححه ابن حبان في صحيحه.

4) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : فسطاس المسلمين يوم الملحمة في الغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من قلب مدائن الشام. وفي رواية ثانية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يوم الملحمة الكبرى ، فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة ، فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين) صحيح أخرجه أبو داوود و الحاكم و أحمد و قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

5) عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. صحيح أخرجه الطبراني و له شواهد من روايات أخرى.

6) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :(إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثا من الموالي أكرم العرب فرسانا وأجودهم سلاحا ،يؤيد الله بهم الدين)حسن أخرجه ابن ماجة و الحاكم.ا.هـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ' لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة ' رواه الطبراني في الأوسط .

وستبقى البشائر كما بشرنا بها ربنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن تكون الملحمة الكبرى حيث نقاتل اليهود ونحن شرقي النهر وهم غربيه تماماً كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم،حيث يقاتل معنا الشجر والحجر ويقولان للمسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله،إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود ..

وإنا وإن طال الزمن فإننا نرى في الأفق الزاهر رايات أهل السنة وشبابهم المجاهد،يجتثون شأفة العلوية النصيرية وكفار الطوائف،ويجتثون شأفة اليهود والنصارى،ويجتثون بعدهم الغرقد وما زرع اليهود ..

فإلى أمتنا نزف البشرى كي ينبعث الأمل في القلوب وإن لفتها دياجير العجز والذل ، نزفها وإن خنق القلب اليوم غصة التشريد والهزيمة المؤقتة أمام قوى الشر ..

نزفها من قلب الأحزان وشدة الحصار .. نزفها ونحن نرتل آيات الله فنأنس بها،ونحن نستقرأ المستقبل مع بشائر المصطفى صلى الله عليه وسلم فنبتهج بها .. نزفها ونحن ننشد مع شهدائنا الأبرار يستنهضون هممنا ويسألوننا. أخي هل تراك سئمت الكفاح

وألقيت عن كاهليك السلاح

فمن للضحايا يواسي الجراح

ويرفــــع رايـــــاتها من جــديــد

لنجيبهم بأننا على العهد ماضون وعلى الطريق سائرون ولنقول لهم :

ســأثأر لــكـن لرب وديـــــن

وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام

وإما إلى الله في الخالديـــن

وغداً إن شاء الله نلقى الأحبة محمداً وصحبه وقد أعذرنا وبلغنا وبذلنا وسعنا إن شاء الله تعالى فهذا بلاغنا وهذا ما قدرنا عليه .. ألا هل بلغنا اللهم فاشهد ..



درس
في التحريض على الجهاد

لفضيلة الشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريَّته ومن اهتدى بهديه وسار على سنَّته واتَّبع سبيله بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد؛

قال الله عزَّ وجلَّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)، والجزاء (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى..) –وشيءٌ آخر وخصلةٌ أخرى تحبُّونها– (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ).

ويقول الله عزَّ وجلَّ: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)

ويقول الله سبحانه وتعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

ويقول ربنا عزَّ وجلَّ: (لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا).

ويقول الله عزَّ وجلَّ: (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى).

أيها الإخوة، تعظيم الله سبحانه وتعالى لقدر الجهاد والمجاهدين في الشريعة الإسلامية وبيان فضلهم –فضل الجهاد وفضل المجاهدين في سبيل الله عزَّ وجلَّ– وفضل الشهادة والشهداء الذين يُستشهدون في سبيل الله، الذين يزهقون أرواحهم ويبذلون أنفسهم ودماءهم، يريقون هذه الدماء التي هي أغلى شيء عندهم وهذه الروح وهذه النفس، ويهلكون هذا الوجود في هذه الدنيا في سبيل الله عزَّ وجلَّ وسعيًا لتحصيل ونيل مرضاته سبحانه وتعالى ونيل الحظوة عنده والأجر العظيم والمكانة الرفيعة التي أعدَّها الله سبحانه وتعالى لمن قام هذا المقام، بيان الله عزَّ وجلَّ في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لفضائلهم –فضائل الشهادة والشهداء والمجاهدين والجهاد في سبيله عزَّ وجلَّ– شيءٌ كبير جدًا جدًا حتى قال العلماء إنه لم يرد في الكتاب والسنة في فضائل الأعمال مثلما ورد في الجهاد وفي الشهادة، لم يرد في شيء لا في فضائل الصلاة ولا فضائل الصوم ولا الزكاة والصدقة ولا غيرها من الأعمال الصالحة وهي كثيرة –أبوب الخير كثيرة–، لم يرد في شريعة الله عزَّ وجلَّ في الكتاب وفي السنة في ذكر فضائل الأعمال مثلما ورد في الجهاد، الذي ورد في الجهاد وفي المجاهدين وفضلهم وما أعدَّ الله لهم وفي الشهادة والشهداء شيءٌ كثيرٌ يفوق الحصر يصعب حصره ولم يرد مثله أبدًا في أي فضيلة من فضائل الأعمال الصالحة، هذا كلُّه من تعظيم الله عزَّ وجلَّ لهذه المرتبة وهذه المنزلة في الأعمال الصالحة –مرتبة الجهاد ومرتبة الشهادة في سبيله وهي خاتمة الجهاد– ولا شك أنَّ عظمة الجهاد وعظمة الشهادة في سبيل الله عزَّ وجلَّ مستقرَّة في نفوسنا وفي نفوس المسلمين جميعًا بسبب هذا الذي ورد في الكتاب والسنة من ذكر فضلهم ورفع منزلتهم عالية.

لكن أيها الإخوة، الجهاد.. الجهاد الذي هو الجهاد الممدوح أهله.. الممدوح والممدوح أهله، والمشرَّف والمشرَّف أهله، الذي أحبه الله ورضيه ووعد أهله بالجزاء العظيم كما في هذه الآيات التي تلونا بعضها وفي غيرها كثير من القرآن، ومن السنة مثلاً كقول النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئل عن شيء يعدل الجهاد قال: "لا أجده، أتستطيع إذًا خرج المجاهد في سبيل الله أن تقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر؟" قال: ومن يستطيع ذلك؟!.

الجهاد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ في الجنة مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله".

الجهاد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "من جاهد في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة" فواق ناقة، ولو لحظة بسيطة وجبت له الجنة.

الجهاد الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى: (وَالَّذِينَ قاتلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) وفي قراءة أخرى (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) حفص يقرأ (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، لكن نافع يقرأ (وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ)

هذا الجهاد، هذا العمل الصالح العظيم إنما يكون هو كما أراده الله وكما مدحه وشرَّفه وعظَّمه وفضَّله ومدح أهله وشرَّفهم وعظَّمهم ووعدهم بجزيل الثواب إذا كان على شريعة الله إذا كان في سبيل الله، هو جهادٌ في سبيل الله هذا هو شرطه هذا هو قيده هذا هو وصفه، لا بد أن يكون في سبيل الله، وكونه في سبيل الله معناها أنه جامعٌ لخصلتين هما محدِّدا سبيل الله، سبيل الله له حافتان وله ضابطان ومحدِّدان:

-1 الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

-2 والجري على الشريعة، العمل على وفق الشريعة المطهَّرة.

هذا هو سبيل الله، سبيل الله هذان ركناه وهذان ضابطاه وحافتاه ومحدِّداه، أن يكون خالصًا لوجه الله سبحانه وتعالى مرادًا به وجهه عزَّ وجلَّ مرادًا به التقرب إلى الله، نيل رضوان الله سبحانه وتعالى، مرادًا به الفوز بين يدي الله سبحانه وتعالى عند لقاء الله، مرادٌ به إذن ما عند الله من الأجر والثواب وحسن المثوبة وحسن الجزاء، نعيم الله سبحانه وتعالى وفضله ورحمته ورضوانه في الآخرة، هذا معنى إرادة وجه الله سبحانه وتعالى، أن لا يُنهِضَ الإنسانَ للجهاد إلا إرادة ما عند الله عزَّ وجلَّ إرادة وجه الله إرادة ثواب الله سبحانه وتعالى وحسن جزائه، هذا تعبير عن معنًى واحد. لا ينهضه دنيا يريدها ويثمِّرها ويتأثَّل فيها أمواله، ولا ينهضه جاهٌ وطلب رياسة ومنصب، ولا أن يُذكر عند الناس فيُقال شجاعٌ وجريءٌ وبطلٌ وقائدٌ وكومندان ولا شيء من عرض الدنيا، إنما يريد وجه الله سبحانه وتعالى هذه نيته، هذا الذي أنهضه وهذا الذي دفعه وهذا الذي أخرجه، "لا يخرجه إلا إيمانٌ بي وجهادٌ في سبيلي" -كما جاء في الحديث- هذا الضابط الأول لمعنى سبيل الله.

الضابط الثاني: أن يكون جهاده على وفق شريعة الله سبحانه وتعالى، فهو يعمل الصالحات يعمل الخير فهو عاملٌ بالحق، داعٍ إلى الحق، آمرٌ بالحق، وناهٍ عمَّا ينهى عنه بالحقّ، ويقتل بالحق، ويقاتل بالحق، يقاتل ويقتل من أمر الله بقتالهم وقتلهم وأباح الله وشرع وأجاز قتالهم وقتلهم، لا يفعل شيئًا في جهاده وفي قتاله إلا أن يكون قد علم أنَّ الله رضيه وشرعه وأباحه له وجوَّزه وسوَّغه له، وهذا لا يُعرف إلا بالعلم النافع، الفقه في الدين، معرفة الفقه الذي هو متحصَّل من الكتاب والسنة، كما شرحه علماؤنا وأئمتنا رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين.

فهذان هما الضابطان لطريق الله -سبيل الله-، الجهاد في سبيل الله يعني في طريق الله، جهادٌ في سبيل الله، السبيل هو الطريق، لكن الشريعة اختارت التعبير هنا بلفظ.. جرى في لسان الشرع التعبير بلفظ "سبيل الله" لأن كلمة سبيل فيها نوع من الخصوصية أكثر من الطريق، كلمة الطريق لعلَّها كلمة استُعمِلت استعمالاً أوسع فجاءت الشريعة باستخدام هذا اللفظ ليكون له رونق أو نوع من البلاغة.

"جهادٌ في سبيل الله" سبيل الله هو هذا أيها الإخوة، سبيل الله هذا ضابطه وهاتان حافتاه: الإخلاص، والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، المتابعة للشريعة، العمل على وفق الشريعة، فلا يكون الجهاد محمودًا ولا يكون المجاهد مجاهدًا حقًّا وإن سمَّاه الناس مجاهدًا. النبي صلى الله عليه وسلم قصَّ علينا خبر الثلاثة الذين هم أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة -حديث أبي هريرة في صحيح مسلم- قال: واحد منهم رجلٌ قاتل في سبيل الله فقُتِل -يعني فيما يرى الناس كما جاء في بعض الألفاظ- قاتل في سبيل الله فقُتِل فيؤتى به، يأتي به الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، فيسأله فيعرِّفه نعمه فيعرفها فيقول: فما فعلت فيها؟ فيقول: قاتلت في سبيلك حتى قُتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه في النار، أو كما قال صلى الله عليه وسلم. قالوا له: كذبت إنما قاتلت ليُقال جريء، شجاع وتُمدح بالشجاعة وتُذكر بالشجاعة، فهذا أحد الثلاثة الذين هم أول من تُسعَّر بهم النار، فمعناها أنه ليس مجاهدًا في نفس الأمر في الحقيقة، ليس مجاهدًا وإن سمَّاه الناس مجاهدًا، وإن جرينا نحن في لغتنا وفي استعمالنا على أنه مجاهد تسامحًا وتجوُّزًا، لكن المجاهد الحقيقي من هو؟

هذا الحديث فيه عبرة عظيمة، هذا الحديث كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا حدَّث به يُغمى عليه -يُغشى عليه- حتى يُرشَّ عليه الماء فيقوم ويعود له الغشي أحيانًا يُغشى عليه أكثر من مرَّة، لأن هؤلاء الناس عملوا أعمالاً صالحةً، هذا قائم آناء الليل وأطراف النهار يقرأ القرآن ويعلِّم الناس القرآن، وهذا مُنفق في سبيل الله وأموال تجري ونفقه كبيرة في سبيل الله، وهذا مجاهد يبذل روحه ودمه في سبيل الله -فيما يرى الناس- ومع هذا عذَّبهم الله وعاقبهم بهذه الأفعال التي ظاهرها أفعال في غاية الصلاح.

هذا الحديث دال على أنَّ ليس كل من نراه مجاهد فهو مجاهد، ولا كل ما نراه جهادًا هو جهاد، علينا أن نبحث ونفتِّش وندقِّق لا بد أن نصيب الجهاد الذي هو جهادٌ عند الله الممدوح عند الله، حقيقة الجهاد ما هو؟ النبي صلى الله عليه وسلم لما عرَّف لنا الجهاد رجع بنا إلى قاعدة أصلية كبيرة جدًا، قال: "والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله" هذا حديث صحيح أيضًا في الترمذي وغيره.

إذن معناها ممكن الإنسان يكون مجاهد في الصورة في الظاهر ويكون عمله جهادًا في الظاهر وفي الصورة ولكنه ليس مجاهدًا عند الله وعمله ليس جهادًا عند الله سبحانه، ليس معدودًا جهادًا ولا عمل صالح يكون يوم القيام هباءً منثورًا ويكون وبالاً عليه يوم القيامة، فمن هنا كان لزامًا علينا نحن المسلمين والمجاهدين في سبيل الله أن نفتِّش عن أنفسنا وجهادنا وأن ننظر هل نحن مجاهدون حقًّا أم لا؟ هل الذي نمارسه ونعمله جهاد حقيقي هو الجهاد الذي مدحه الله ورضيه وأحبه وأمر به أم شيء ثان نحن نسمِّيه جهادًا؟ هذا كله يُعرف أيها الإخوة بالعلم النافع، بمعرفة أحكام الجهاد والمجاهدين وصفة المجاهد ومعرفة ما هو المجاهد على الحقيقة في كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا نكتفي –طبعًا الكلام طويل– ولكن نكتفي في هذا الإطار بمدارسة ومذاكرة حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تبيِّن معنى الجهاد في سبيل الله وما يُرى جهادًا ولكنه ليس جهادًا في سبيل الله عزَّ وجلَّ لأنه لم يحقق إما الشرطين أو أحدهما، شرط الإخلاص وشرط المتابعة.

والحديث في السنن في سنن النسائي وغيره وفي مسند الإمام أحمد كذلك، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الغزو غزوان" الغزو يعني الجهاد غزو الناس يكون على ضربين ونحوين، قسمان، الغزو غزوان، غزو صفته كذا وغزو صفته كذا حاصلها أنَّ أحدهما ممدوح وهو الغزو الحقيقي والجهاد الحقيقي والثاني لا ليس كذلك.

"الغزو غزوان" ثم فصَّل جاء بفاء التفريع والتفصيل فقال: "فمن غزى ابتغاء وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد في الأرض فإنَّ نومه ونبهه أجرٌ كله، ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف" أو في لفظٍ آخر: "فإنه لم يرجع بالكفاف".

"الغزو غزوان" معناها أنَّ الغزو قسمان ونوعان: ممدوحٌ، ومذموم، وسيأتيكم التفصيل.

"فمن غزى ابتغاء وجه الله" أولاً: شرط الإخلاص صاحبه حقق فيه شرط الإخلاص غزى ابتغاء وجه الله يريد ما عند الله عزَّ وجلَّ، هذا الذي أنهضه وأخرجه وَّحركه ودفعه للجهاد أنه يريد نصرة دين الله، التقرب إلى الله، دفعته محبة الله والغيرة على دين الله والخشية من الله والخوف والرهبة من الله أن يلومه وأن يعاقبه ويؤاخذه لو لم يجاهد في سبيله، مريدًا ثواب الله وحسن جزائه وكرامته في الآخرة، مريدًا رضا الله سبحانه وتعالى، منافسًا في درجات وسُلَّم الكرامات عند الله عزَّ وجلَّ. هذه المعاني كلها متضمَّنة في قولنا "يريد وجه الله".

"فمن غزى ابتغاء" ابتغاء يعني إرادة وجه الله عزَّ وجلَّ.

"فمن غزى ابتغاء وجه الله وأطاع الإمام" هذه خمسة شروط ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث للغزو الصالح، للمجاهد الصالح، للجهاد الصالح.

"فمن غزى ابتغاء وجه الله" إخلاص، إرادة وجه الله عزَّ وجلَّ وحده لا شريك له.

"وأطاع الإمام" الشرط الثاني: طاعة الإمام، وهو الأمير الذي عليك، سواءً كان الإمام الأعظم في حال وجوده أو كان نوابه في حال وجوده أيضًا ونوابه هم المباشرين لك، أو في حال عدم وجوده مثلاً كأحوالنا اليوم عدم وجود إمام جامع واحد للمسلمين فيقوم جماعة المسلمين وقياداتهم وأمراؤهم تقوم مقام الإمام في هذا، هذا لا شك فيه، والشريعة والفقهاء متفقون على أنَّ مثل هذه الجماعات وجماعات المسلمين الصغيرة تقوم مقام الإمام في حال فقده وفي حال شغور الزمان عن الإمام الأعظم في مسائل متعددة ذكروها في الفقه، وهذه المسائل مسألة الجهاد اليوم الذي لا بد فيه من جماعة وإمارة وسمع وطاعة لأنه لا يتم الجهاد إلا بها، فهذا لا شكَّ في دخوله في هذا دخولاً أوليًا يعني لا شك في دخوله في هذه المسألة التي هي مسألة ما يقوم مقام الإمام في حالة عدم وجود الإمام هؤلاء أمراء الجهاد، "وأطاع الإمام" يدخل فيه الأمير أميرك أمير الجهاد وهو السمع والطاعة وهو الذي لا تكون الجماعة جماعة إلا به السمع والطاعة؛ لأنه لا جماعة إلا بسمع وطاعة، ما هي الجماعة وما هي حقيقتها؟ الجماعة قوم مجتمعون لهم رأس يطيعونه لهم رأس يعني أمير، قيادة، قائد، مسؤول عليهم يطيعونه يأتمرون بأمره هذه هي الجماعة، وليس مجرد يعني ناس وُجدوا في مكان واحد هؤلاء ليسوا جماعة، إنما الجماعة هي الجماعة التي اجتمعت على شخص واحد يقودهم ويسوسهم يأتمرون بأمره لأن؛

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جُهَّالهم سادوا

الشرط الثاني إذن: طاعة الإمام، "وأطاع الإمام"؛ طاعة الإمام في الجهاد، السمع والطاعة والانضباط في كل شيء والطاعة في كل شيء إلا إذا خالف الأمر الشريعة المخالفة الصريحة للشريعة إذا ارتكب حرامًا أو أمرك بحرام واضح ليس من المسائل الاجتهادية وغيرها لا، الأمر الواضح فحين إذ تقول "لا طَاعَةَ لَمخْلُوقٍ فِي مَعْصِيةِ الخَالِقِ"، "إِنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ" لا طاعة للإنسانَ لأميرٍ أو غيره في معصيةِ الله أبدًا، إذن "وأطاع الإمام" هذا الشرط الثاني.



"وأنفق الكريمة" يعني أنفق الأموال الكريمة عليه؛ الكريمة على نفسه التي تكرم عليه وتنفس عنده؛ تكون كريمة ونفيسة عنده، وإما يكون المقصود بها "الكريمة" يعني الأموال عمومًا مطلقًا لأنها كل الأموال في الحقيقة هي كريمة على الإنسان نفيسة عنده، المال مطلقًا، وإما أن يكون المقصود أنفق الأموال الكريمة التي هي الأموال الخاصة التي هي تكرم على الإنسان فيكون فيه ترغيب وحثٌّ على إنفاق كرائم الأموال.

"وأنفق الكريمة" فالإنفاق واجب في الجهاد في سبيل الله في مثل حالتنا هذه إذا كان الجهاد متعينًا فالإنسان واجب عليه أن يجاهد بنفسه وماله الجهاد بالنفس لا يغني عن الجهاد بالمال يا إخواننا، نحن كل واحد منا واجب عليه أن يجاهد بنفسه ويجاهد بماله إذا كان عنده مال، طبعًا لا شك نحن معظمنا نحن يعني قليلي المال وما عندنا شيء كبير، ولكن لو فرض أن إنسانًا غنيًا وجاء إلى الجهاد هنا بنفسه يجب عليه أيضًا أن يجاهد بماله، وحتى في الجهاد الفرض الكفائي؛ الجهاد بالمال قد يتعيَّن إذا احتاج المسلمون في حال ما وفي وقت ما إلى ماله مثلاً، وعزَّ عليهم وصعب عليهم أن يأخذوا من غيره أو تعيَّن فيه واجب النفقة فـ "وأنفق الكريمة"، وعلى كل حال حتى في حالة عدم تعيُّنه عليه شخصيًا فإنفاق الكريمة فإنفاق الأموال في الجهاد في سبيل الله دالٌّ على سخاء النفس في طاعة الله سبحانه وتعالى وبذلها في ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، "وأنفق الكريمة" هذا الشرط الثالث.

الشرط الرابع "وياسر الشريك"، ياسره يعني عامله باليسر ولم يعنته ولم يشدد عليه لا تعالى عليه ولا ترفَّع عليه بل تواضع له وذلَّ له كما قال الله تعالى: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

ف"وياسر الشريك" إذن هذا الشرط الرابع؛ والشريك هو الزميل، المجاهد شريكه زميله، المجاهد معه، أخيه المجاهد معه، "وياسر الشريك" لأنه زميله وشريكه في هذا الجهاد وصديقه ورفيقه، "وياسر الشريك" ياسره يعني عامله باليسر، خفض جناحه له وذل وتواضع له، عامله المعاملة اليسرى السهلة اللينة، "وياسر الشريك" فهذه تحتها معاني كثيرة جدًا، إذا كان نحن في الصلاة، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ" ويقول : "خُيَرُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلاةِ" حديث صحيح، فالجهاد مبني على العنف أصلاً، الجهاد شدة وقوة وعنف ومن هذا الجنس، ربما يكون الإنسان في حالة حدة وشدة واشتداد وقوة وغضب يعني يحتاج إلى القوة الغضبية في الجهاد، الحقد على الأعداء والغيض عليهم تنمية الغيض عليهم، لكن بالمقابل لا بد أن يكمل هذه الفضيلة بفضيلة الذلة للمؤمنين (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)، التراحم فيما بين المؤمنين، الرحمة للمؤمنين والشفقة عليهم والذلة لهم والتواضع لهم، رحمتهم، الإحسان إليهم، التودد والتعاطف والتراحم والتوادد فيما بين المؤمنين، "وياسر الشريك" يعني عامله بالرفق وباللين وبالذلة والتواضع والمودة والتيسير عليه ولا يعنته، طبعًا هذا مراتب متعددة يتفاوت فيها الناس، كلما كان الإنسان ألين لإخوانه أكثر ذلةً وتواضعًا كان أعلى عند الله سبحانه وتعالى "وما تواضع أحد لله إلا رفعه"، (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)، إذن هذا الشرط الرابع.

الشرط الخامس "واجتنب الفساد في الأرض" اجتناب الفساد هذا عموم، كل فساد؛ كل ما لا يحبه الله سبحانه وتعالى، كل ما لا يرضى عنه الله عزَّ وجلَّ، كل ما ينهى عنه الله ولا يأمر به بل ينهى عنه، كل ما ينهى عنه الله عزَّ وجلَّ ويكرهه ويبغضه ويذمه فهذا هو الفساد، "واجتنب الفساد في الأرض" كل ما يتفق الناس عقلاؤهم على أنه من الفساد في الأرض يكون فسادًا إذا ما جاءت الشريعة بخلاف هذا، المنكر والفساد يجتنبه الإنسان، الاجتناب هو المباعدة، يجتنبه: يبتعد عنه، فلا يرتكبه ولا يقربه ولا يكون من أهله



ومن أصحابه، "واجتنب الفساد في الأرض" الفساد بقتل الناس بغير حق، بأخذ أموال الناس بغير حق، بالتعالي والتكبر على الناس، بظلم الناس، بإرادة العلو في الأرض والفساد وأعراض الدنيا والغلبة على الناس، لأن المجاهد تعتريه آفات وفتن كبيرة، من أخطر الآفات التي تعتري المجاهدين ويبتلون بها وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم إزاءها ويعتصموا بالله سبحانه وتعالى هي فتنة العلو على الخلق، الظلم للناس، أخذ أموال الناس وأخذ حقوقهم بغير حق، بغير إذن من الله عزَّ وجلَّ، بغير إذن من الشريعة، لأن الإنسان إذا ملك السلاح وصار له مُلك وتمكن في الأرض فإن هذه النفس الأمارة بالسوء تأمره وتدعوه وتميل به إلى ما تهواه من الغلبة على الناس والترفع عليهم والظهور فوقهم والأمر والنهي والسلطنة، فعلى الإنسان المجاهد أن يكون متواضعًا وألا يقع في هذه المحذورات العظيمة، أن ينتبه إلى جهاده وإلى قلبه وإلى نفسه وإلى عمله فينضبط بشريعة الله سبحانه وتعالى ويتواضع لله (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

إذن "واجتنب الفساد في الأرض"؛ من الفساد أيضًا الفساد في وسط الجماعة المجاهدة بالفتنة والكلام بالتثبيط وبالتخذيل، وبث الفتن بين الناس، الإرجاف مثلاً والطعن في المؤمنين وفي جماعاتهم وفي قياداتهم وفي علمائهم أو غيرها بغير حق، هذا كله من الفتن، من الفساد في الأرض.

"واجتنب الفساد في الأرض"؛ مساوئ الأخلاق عمومًا في التعامل مع إخوانه في الجهاد، هذه كلها من الفساد الذي يبغضه الله سبحانه وتعالى، فالمجاهد الحقيقي هو إذن من شرطه أنه يجتنب الفساد في الأرض، إذن هذه خمسة شروط.

"فمن غزى ابتغاء وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد في الأرض" قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فإن نومه ونبهه أجرٌ كله" هذا جواب الشرط أو الجزاء، فمن غزى وكذا وكذا بهذه الصفات "فإن نومه ونبهه أجرٌ كله"؛ نومه ونبهه يعني نومه أو صحوه، كله أجر ومعدود كله ومصبوب في ميزان حسناته، لا يمضي عليه ثانية ولا دقيقة وهو في ساحات الجهاد بهذه الشروط —الجهاد الحقيقي– إلا وهو إيش؟ العدَّاد يحسب، عداد الحسنات والملائكة تكتب يقظته ومنامه، "فإن نومه ونبهه أجرٌ كله".

والغزو الثاني أيها الإخوة؛ النوع الثاني والقسم الثاني من الغزو ومن الجهاد الذي يراه الناس غزوًا ويسمَّى غزوًا ونسميه غزوًا ونسمِّيه جهادًا؛ من باب اعتبار الظاهر، من

باب اعتبار الصورة، النظر إلى الصورة وإلى الظاهر فقط أو من باب الدعوى، اعتبار الدعوى، اعتبار دعواه، هذه كلها اعتبارات مبنية على التسمُّح، النبي صلى الله عليه وسلم سمَّاها غزوة أيضًا في أول صدر هذا الحديث؛ "ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف" من غزى بهذه الصفات وهذه الأعمال المصاحبة لغزوه وجهاده وعدَّها خمسًا، بعضها يقارب بعضًا في المعنى، لكن هي خمسٌ أيضًا كأنه تنظير بالأول ومُشاكلةٌ له.

"ومن غزى فخرًا"؛ غزى فخرًا: يفاخر الناس ويفتخر عليهم بغزوه، مريدًا الفخر أو قاصدًا بغزوه الفخر والافتخار على الناس، "ومن غزى فخرًا ورياءً": فخرًا هذه مفعول له، تسمَّى في النحو مفعول له ومفعول لأجله منصوب على المفعولية لأجله هذا، "ومن غزى فخرًا": يعني لأجل الفخر، أي غزى مفاخرًا ومفتخرًا على الناس.

"ومن غزى فخرًا ورياءً": الرياء هو إرادة إراءة الناس عمله لكي يمدحوه ويَعْظُم في قلوبهم مثلاً، أن يعمل الإنسان العمل مريدًا أن يراه الناس، قاصدًا إراءة الناس عمله هذا حتى يمدحوه ويَعْظُم عندهم أو يكبر في نفوسهم وهكذا فهو لا يريد وجه الله إنما يريد أن يكبر ويعظم عند الناس، "ومن غزى فخرًا ورياءً" هذا هو الرياء، غزى رياءً يعني إنما دفعه وحمله على الغزو الرياء، مراءاة الناس مريدًا إراءة الناس عمله لكي يمدحوه أو يعظموه.

"ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً": السمعة هي إرادة الإنسان أن يسمع به الناس أو أن يُسْمِع الناس، السمعة والرياء هما باب واحد لكن هذا متعلق بالرؤية بالبصر وهذا متعلق بالسمع لإسماع الناس، "ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً": يسمِّع الناس، يريد أن يسمع الناس ويسمِّعهم إذا هم لم يروا، يسمِّعهم ويتحدَّث ويتكلَّم، وأنا ونحن وفعلنا وحطّينا..، ولهذا الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يكرهون التحديث بمواقفهم في الغزو وبمشاهدهم في الغزو، وإنما حدَّثوا ببعض مشاهدهم في الغزو من أجل الفائدة ومن أجل التربية والتعليم وإعطاء حكم شرعي مثلاً أو غير ذلك وإلا كانوا يكرهون التحدُّث بمشاهدهم في الغزو خوفًا على أعمالهم أن تحبط حفظًا لأعمالهم وصيانةً ومجانبةً لأسباب حبوط العمل -نسأل الله العفو والعافية والسلامة-.

"ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً وعصى الإمام" بعكس الأول الذي أطاع الإمام هذا عصى الإمام، يعصي الإمام إمَّا المعصية الجهريَّة الواضحة فيُفسد في الأرض ويعصي الإمام ولا يطبِّق الأوامر ولا يسمع ولا يطيع ويخرج عن الطاعة والمشاقة والعصيان الكامل، أو العصيان الكثير الصغير المفسد، فهذا أيضًا فقد شرطًا كبيرًا من شروط المجاهد الجهاد الصحيح الحقيقي المحبوب لله سبحانه وتعالى، هذا عصى الإمام فهذا يكون من القسم الثاني من الجهاد ومن الغزو الذي لا يرضى عنه الله سبحانه وتعالى.

"وعصى الإمام وأفسد في الأرض" بعكس الأول الذي اجتنب الفساد في الأرض، هذا أفسد في الأرض بالعلو والتعالي على الخلق وظلم الخلق بأخذ أموالهم وانتهاك أعراضهم - مثلاً- وقتلهم بغير حق وضرب أبشارهم بغير حق والتكبُّر عليهم والترفُّع.

"وأفسد في الأرض" قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي غزى هذا الغزو وغزى على هذا النحو وعلى هذا الوجه قال: "فإنه لن يرجع بالكفاف" لن يرجع من غزوه وجهاده بالكفاف، والكفاف هو حالة الاستواء لا لك ولا عليك، يُقال رجع كفافًا يعني ما ربح وما خسر، رجل أخذ رأس مال للسوق يتاجر فباع واشترى وكذا وصفق بالأسواق فإذا به يرجع برأس ماله فيُقال: رجع كفافًا، لا له ولا عليه، هذه حالة الكفاف، وأيضًا تُستعمل بمعنى الحالة الكافية أو الحد الأدنى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا"، يقول النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي غزى على هذا النحو وعلى هذا الوجه بهذا الصفات: "لن يرجع بالكفاف" يعني لن يرجع حتى برأس ماله، يعني أنه يرجع خاسرًا -والعياذ بالله- فالحديث واضح وجلي جدًا جدًا، أن من الناس من يغزو ويجاهد وهو يخسر -والعياذ بالله- لا يربح شيئًا، بل يخسر لأنه قال "لن يرجع بالكفاف" أو "لم يرجع بالكفاف" يعني حتى برأس ماله ما رجع، بل رجع خاسرًا.

فوالله هذا شيء عظيم جدًا جدًا شيء عظيم، ينبغي علينا أن يكون دائمًا نصب أعيننا، والله شيء يُطير القلوب ويُفزعها أنَّ الإنسان يجاهد ثمَّ يقول ليتني لم أجاهد، ونحن أيها الأخوة بين نارين فعلينا أن نستعين بالله سبحانه وتعالى وننجو بين يدي الله عزَّ وجلَّ ونكون من المفلحين الفائزين الرابحين الناجحين المرضيِّ عنهم عند الله سبحانه وتعالى، لا بد نسعى في هذا ونجتهد، هذا هو الربح الحقيقي وخلافه هو الخسران المبين، نحن بين نارين: نار القعود عن الجهاد ونار أن نذهب إلى الجهاد ولكن نخسر، فلا بد أن ننجو، لا بد أن نكون رجالاً حقًّا ونستعين بالله سبحانه وتعالى ونتوكَّل عليه ونعتمد عليه فيوفِّقنا الله وننجح، امتحان صعب في غاية الصعوبة ومحك خطير جدًا جدًا، لأن ربَّما إذا سمع بعض الناس هذا الكلام يقول: إذا كان فيه خطر عظيم أني أنا ممكن أذهب للجهاد ثمَّ أخسر فأنا لا أجاهد، نقول له: (أَلَا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ)، بل عليك أن تجاهد يجب عليك الجهاد ولو قعدت ولم تجاهد فإنك مرتكب كبيرةً في مثل هذا الوقت الذي الجهاد فيه فرض عين، القاعد عن الجهاد بغير عذر مرتكب كبيرة، ويلٌ له من الله إن لم تتداركه رحمة الله عزَّ وجلَّ إن لم يتب أو تتداركه رحمة الله سبحانه وتعالى بأسباب المكفِّرات فإنه متعرِّضٌ لسخط الله وعذابه، متعرِّضٌ لوعيد الله على هذه الكبيرة الفظيعة التي ارتكبها وهي القعود عن الجهاد الواجب المتعيّن عليه، فيجب علينا أن نجاهد وما نخاف منه يجب علينا أن نجاهد أيضًا حتى نكون مجاهدين حقًّا كما يحب الله سبحانه ويرضى، كلُّها جهاد؛ في البداية جهاد وأنت في أرضك وبين أحضان أمِّك فتنهض للجهاد وتخرج للجهاد وتنفر للجهاد تاركًا وراءك الدنيا والأحباب والأهل والخلَّان والأوطان وتهاجر وتجاهد في سبيل الله، ثم عليك جهاد آخر وهو جهاد حقيقي لكي تكون مجاهدًا حقًّا، جهاد أن تحقق هذه الخمسة شروط التي هي:

-1 ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى.

-2 وإطاعة الإمام.

-3 وإنفاق الكريمة.

-4 ومياسرة الشريك.

-5 واجتناب الفساد في الأرض.

لا بد أن تُحقِّقَها مجاهدةً للنفس، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، تجاهد نفسك وتأطرها وتحملها على أن تستقيم على منهاج الله سبحانه وتعالى وعلى شريعة الله، حتى تكون في سبيل الله وفي طريق الله عزَّ وجلَّ حقًّا مرضيًّا عنك عند الله عزَّ وجلَّ، فهو جهاد كلِّه، جهاد إلى آخر نَفَس أيها الأخوة، جهاد إلى آخر قطرة من دمائنا.. جهاد.

نماذج لأمور من تركها لله عوّضه الله خيراً منها

١ - من ترك مسألة الناس، ورجاءهم، وإراقة ماء الوجه أمامهم، وعلق رجاءه بالله دون سواه عوّضه خيراً مما ترك، فرزقه حرية القلب، وعزة النفس، والاستغناء عن الخلق { ومن يتصبر يصبره الله ومن يستعفف يعفه الله }.

٢ - ومن ترك الاعتراض على قدر الله، فسلّم لربه في جميع أمره رزقه الله الرضا واليقين، وأراه من حسن العاقبة ما لا يخطره له ببال.

٣ - ومن ترك الذهاب للعرافين والسحرة رزقه الله الصبر، وصدق التوكل، وتحقق التوحيد.

٤ - ومن ترك التكالب على الدنيا جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

٥ - ومن ترك الخوف من غير الله، وأفرد الله وحده بالخوف سَلِمَ من الأوهام، وأمّنه الله من كل شيء، فصارت مخاوفه أمناً وبرداً وسلاماً.

٦ - من ترك الكذب، ولزم الصدق فيما يأتي ويذر هُدي إلى البر، وكان عند الله صديقاً، ورزق لسان صدق بين الناس، فسوّدوه، وأكرموه، وأصاغوا السمع لقوله.

٧ - ومن ترك المراء وإن كان مُحقاً ضُمن له بيت في ربض الجنة، وسلم من شر اللجاج والخصومة، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من كشف عيوبه.

٨ - ومن ترك الغش في البيع والشراء زادت ثقة الناس به، وكثر إقبالهم على سلعته.

٩ - ومن ترك الربا، وكسب الخبيث بارك الله في رزقه، وفتح له أبواب الخيرات والبركات.

١٠ - ومن ترك النظر إلى المحرم عوّضه الله فراسة صادقة، ونوراً وجلاءً، ولذة يجدها في قلبه.

١١ - ومن ترك البخل، وآثر التكرم والسخاء أحبه الناس، واقترب من الله ومن الجنة، وسلم من الهم والغم وضيق الصدر، وترقى في مدارج الكمال ومراتب الفضيلة وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

١٢ - ومن ترك الكبر، ولزم التواضع كمل سؤدده، وعلا قدره، وتناهى فضله، قال فيما رواه مسلم في الصحيح: { ومن تواضع لله رفعه }.

١٣ - ومن ترك المنام ودفأة ولذته، وقام يصلي لله عز وجل عوضه الله فرحا، ونشاطا، وأنسا.

١٤ - ومن ترك التدخين، وكافة المسكرات والمخدرات أعانه الله، وأمده بألطاف من عنده، وعوضه صحة وسعادة حقيقية، لا تلك السعادة الوهمية العابرة.

١٥ - ومن ترك الإنتقام والتشفي مع قدرته على ذلك، عوضه الله إنشراحا في الصدر، وفرحا في القلب؛ ففي العفو من الطمأنينة والسكينة والحلاوة وشرف النفس، وعزها، وترفعها ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام.
قال فيما رواه مسلم: { وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا }.

١٦ - ومن ترك صحبة السوء التي يظن أن بها منتهى أنسه، وغاية سروره عوضه الله أصحاباً أبراراً، يجد عندهم المتعة والفائدة، وينال من جراء مصاحبتهم ومعاشرتهم خيري الدنيا والآخرة.

١٧ - ومن ترك كثرة الطعام سلم من البطنة، وسائر الأمراض، لأن من أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً، فخسر كثيراً.

١٨ - ومن ترك المماطلة في الدَّين أعانه الله، وسدد عنه بل كان حقاً على الله عونه.

١٩ - ومن ترك الغضب حفظ على نفسه عزتها وكرامتها، ونأى بها عن ذل الاعتذار ومغبة الندم، ودخل في زمرة المتقين الكاظمين الغيظ .
جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله أوصني! قال: { لا تغضب } [رواه البخاري].
قال الماوردي رحمه الله: (فينبغي لذي اللب السوي والحزم القوي أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدّها، ويقابل دواعي شرته بحزمه فيردها؛ ليحظى بأجلّ الخيرة، ويسعد بحميد العاقبة).
وعن أبي عبلة قال: غضب عمر بن عبدالعزيز يوماً غضباً شديداً على رجل، فأمر به، فأحضر وجُرّد، وشُدّ في الحبال، وجيء بالسياط، فقال: خلو سبيله؛ أما إني لولا أن أكون غضباناً لسؤتك، ثم تلا قوله تعالى: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ [آل عمران:١٣٤].

٢٠ - ومن ترك الوقيعة في أعراض الناس والتعرض لعيوبهم ومغامزهم عُوّض بالسلامة من شرّهم، ورزق التبصر في نفسه.
قال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: (من أسرع إلى الناس فيما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون).
وقالت أعرابية توصي ولدها: (إياك والتعرّض للعيوب فتتخذ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضاً حتى يهي ما اشتد من قوته).
قال الشافعي رحمه الله:
المرء إن كان مؤمناً ورعاً *** أشغله عن عيوب الورى ورعه
كما السقيم العليل أشغله عن وجع الناس كلهم وجعه

٢١ - ومن ترك مجاراة السفهاء، وأعرض عن الجاهلين حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف:١٩٩].

٢٢ - ومن ترك الحسد سلم من أضراره المتنوعة؛ فالحسد داء عضال، وسم قاتل ومسلك شائن، وخلق لئيم، ومن لؤم الحسد أنه موكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب، والأكفاء، والخلطاء، والمعارف، والإخوان.
قال بعض الحكماء: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم).

٢٣ - ومن سلم من سوء الظن بالناس سلم من تشوش القلب، واشتغال الفكر، فإساءة الظن تفسد المودة، وتجلب الهم والكدر، ولهذا حذرنا الله عز وجل منها فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثم . وقال : { إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث } [رواه البخاري ومسلم].

٢٤ - ومن اطّرح الدعة والكسل، وأقبل على الجد والعمل عَلَت همته، وبورك له في وقته، فنال الخير الكثير في الزمن اليسير.
ومن هجر اللذات نال المنى ومن أكب على اللذات عض على اليد.

رثاء الخلافة

شعر أحمد شوقي

عادت أَغاني العُرسِ رَجعَ نُواحِ ... ونُعيت بين مَعالِمِ الأَفراحِ
كُفِّنت في لَيلِ الزِّفافِ بثوبهِ ... ودُفنت عند تبلّجَ الإِصباحِ
شُيِّعَت من هَلَعٍ بعبرةِ ضاحكٍ ... في كُلِّ ناحيةٍ وسَكرةِ صاحِ
ضَجَّت عليكِ مآذنٌ ومَنابرٌ ... وبكت عليكِ ممالكٌ ونَواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ ... تَبكي عليكِ بمدمعٍ سحاحِ
والشّامُ تَسأَلُ والعِراقُ وفارسٌ ... أَمحى من الأَرضِ الخلافةَ ماحِ
وأتت لك الجمعُ الجلائلُ مأتماً ... فقعدنَ فيه مقاعدَ الأَنواحِ
يا للرِّجالِ لحُرّةٍ موؤودةٍ ... قُتلت بغيرِ جَريرةٍ وجناحِ
إنَّ الذين أَسَت جراحكِ حَربُهم ... قَتَلَتكِ سِلمُهُمو بغيرِ جراحِ
هَتكوا بأيديهم مُلاءةَ فَخرهم ... مُوشيّةً بمواهبِ الفتّاحِ
نَزعوا عنِ الأعناقِ خيرَ قلادةٍ ... وَنَضُوا عن الأعطافِ خيرَ وشاحِ
حَسْبٌ أتى طولُ الليالي دونهُ ... قد طاحَ بين عَشيّةٍ وصباحِ
وعَلاقةٌ فُصمت عُرى أسبابها ... كانت أبرَّ علائقِ الأرواحِ
جمعت على البرِّ الحضورَ ورُبَّما ... جمعت عليه سرائرَ النُّزاحِ
نَظمت صفوفَ المسلمين وَخَطوهم ... في كُلِّ غَدوَةِ جُمعةٍ وَرواحِ
بكت الصّلاةُ وتلك فتنةُ عابثٍ ... بالشَّرعِ عربيدِ القَضاءِ وَقاحِ
أفتى خُزعبَلةً وَقالَ ضَلالةً ... وأتى بكفرٍ في البلادِ بَواحِ
إنَّ الذين جَرى عليهم فقْهُهُ ... خُلقوا لفقْهِ كتيبةٍ وسلاحِ
إن حُدِّثوا نَطَقوا بخُرسِ كَتائبٍ ... أو خوطبوا سمعوا بصُمِّ رماحِ
أستغفرُ الأخلاقَ لَستُ بجاحدٍ ... من كُنتُ أدفعُ دونه وأُلاحي
مالِ أُطوقُه الملامةَ وطالما ... قَلَّدته المأثورَ من أمداحي
هُو ركنُ مملكةٍ وحائطُ دولةٍ ... وَقريعِ شَهباءَ وكبشَ نطاحِ
أأقولُ من أحيا الجماعةَ ملحدٌ ... وأقولُ من رَدَّ الحقوقَ إباحي
الحق أولى من وليّك حُرمةً ... وأحقُ منكَ بنُصرةٍ وكفاحِ
فامدح على الحقِّ الرّجالَ ولُمهُموا ... أو خَلِّ عنكَ مَواقفَ النُّصّاحِ
ومن الرجالِ إذا انبريتَ لهَدمهم ... هَرِمٌ غَليظُ مَناكبِ الصفاحِ
فإذا قَذَفتَ الحقَّ في أَجلادهِ ... تَركَ الصِّراعَ مُضَعضَعَ الألواحِ
أدُّوا إلى الغازي النَّصيحةَ ينتصح ... إنَّ الجوادَ يَثوبُ بَعدَ جماحِ
إن الغُرورَ سقى الرَّئيسَ براحهِ ... كيفَ احتيالك في صَريعِ الرّاحِ
نَقَلَ الشرائعَ والعقائدَ والقرى ... والناسَ نَقْلَ كتائبٍ في الساحِ
تَرَكَتْهُ كالشَّبحِ المؤلِّهِ أُمّةٌ ... لم تَسْلُ بَعدُ عِبادَةَ الأشباحِ
هُم أطلَقوا يَدَهُ كقيصرَ فيهمو ... حتّى تناوَلَ كُلَّ غَيرِ مُباحِ
غَرَّته طاعاتُ الجُموعِ ودولةٌ ... وَجَدَ السَّوادُ لها هَوى المُرتاحِ
وإذا أَخذتَ المجدَ من أُميّةٍ ... لم تُعطَ غيرَ سرابهِ اللّماحِ
من قائلٌ للمسلمين مقالةً ... لم يوحِها غيرُ النَّصيحةِ واحِ
عَهدُ الخلافةِ فيَّ أول ذائدٍ ... عن حَوضها ببراعةٍ نَضّاحِ
حُبٌّ لذاتِ اللهِ كان ولم يَزلْ ... وَهوىً لذاتِ الحقِّ والإصلاحِ
إني أنا المَصباحُ لستُ بضائعٍ ... حتى أكونَ فراشةَ المِصباحِ
غَزواتُ أدهَمَ كُلِّلت بذَوابلٍ ... وفُتوحُ أَنوَرَ فصلت بصفاحِ
وَلَّتْ سُيوفُهما وبانَ قَناهُما ... وشبا يراعي غيرَ ذاتِ براحِ
لا تَبذُلوا بُردَ النَّبيِّ لعاجزٍ ... عزلٍ يُدافعُ دونَهُ بالرّاحِ
بالأمسِ أوهى المسلمين جراحةً ... واليومِ مدَّ لهم يد الجَرّاحِ
فَلَتَسمَعُنَّ بكُلِّ أرضٍ داعياً ... يَدعو إلى الكَذّابِ والسَّجاحِ
ولَتَشهَدُنَّ بكُلِّ أرضٍ فتنةً ... فيها يُباعُ الدِّينُ بيعَ سماحِ
يُفتى على ذَهَبِ المُعزِّ وسيفهِ ... وهَوى النُّفوسِ وحقدها الملحاحَ